السنة الثانية مقياس، تاريخ وحضارة المغرب والاندلس.

الدرس 11. الدول المغربية بعد سقوط الموحدين.

نظرا لضعف الدولة الموحدية وانهيارها فقد استغلت بعض القبائل المغربية هذا الوضع وسارعت الى تأسيس عدد من الدول المستقلة في بلاد المرغب، ومنها الدولة المرينية في المغرب الاقصى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة الحفصية في المغرب الأدنى.

1 ـ الدولة المرينية، 668هـ-869هـ/1269-1465م.

ينتمي المرنيون الى قبائل زناتة وهم من فرع البتر، الذين كانوا يرتحلون من مكان لأخر، وقد ظهروا على مسرح الاحداث أيام المرابطين، وبعد ضعف الدولة الموحدية نزلوا من الصحراء الى التل، وقد اتصف زعيمهم أبو محمد عبد الحق بالتقوى والصلاح والشجاعة والعدل، وهذا ما جعل القبائل تنظم الى المرنيين، وقد شهد عهد هذا الأمير توسع المرنين على حساب الموحدين وحصلوا على غنائم كثيرة (معركة المشعلة) (ابن أبي زرع الانيس).

وبعد مقتل عبد الحق خلفه أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الذي اتفق مع شيوخ القبائل على خلع طاعة الموحدين، تمكن هذا الأمير من توسيع نفوذه حيث دخلت في طاعته قبائل عديدة، وامتدت الدولة من وادي ملوية الى رباط الفتح، واستمر المرنيون في التوسع حيث استولوا على مكناسة وفاس وسلا ورباط الفتح وسجلماسة درعة، وفي عهد السلطان أبو يوسف يعقوب الذي تمكن من القضاء على الموحدين وانهاء دولتهم سنة668 هـ بعد هزيمتهم ومقتل أبي دبوز ودخل المرينيون الى مراكش معلنين قيام دولتهم. (الناصري، الاستقصا ج3)

في سنة 685 دخلت الدولة مرحلة الاستقرار والتوسع وهي مرحلة القوة حيث حكمها عدد من الامراء عرفوا بالسلاطين الأقوياء، وهم أبو يعقوب يوسف وأبو ثابت وأبو الربيع سليمان ثم أبو سعيد عثمان وأبو الحسن علي بن عثمان ثم أبو عنان فارس، وميزت هذه المرحلة بتوسيع نفوذ المرنيين بالمغرب والاندلس.

ومع بداية سنة 759هـ تبدأ مرحلة الضعف بمقتل أبي عنان، حيث فقد الدولة نفوذها وانكمشت داخل حدودها بالمغرب الأقصى، كما تعرضت للازمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية والاوبئة، إضافة الى ضعف شخصية الحكام وتنافسهم على الحكم، مما عجل بسقوط الدولة في عهد عبد الحق بن أبي سعيد الذي قتل سنة 869هـ ليخلفهم بني وطاس.

كانت علاقات المرنيين الخارجية متباينة، فمع بني الأحمر بالأندلس كانت تتأرجح بين الود والعداء رغم تحالفهما ضد النصارى، أما مع بني زيان في المغرب الأوسط فكانت علاقة عدائية لتضارب المصالح، فكانت فترات السلم قليلة جدا، فقد حاصر المرنيون تلمسان عدة مرات.

2ـ الدولة الزيانية (بني عبد الواد) 633هـ-962هـ/ 1235- 1555م

ترجع تسمية هذه الدولة الى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس الدولة، كما تسمى بدولة بني عبد الواد نسبة الى قبيلة عبد الواد، وبنو عبد الواد من قبائل الرحل التي تنتقل خلف الماء والكلأ والمراعي، ثم اندفعوا امام الغزو الهلالي نحو المغرب الأوسط، وقد دخلوا في طاعة الموحدين، وبع ضعف هذه الأخيرة استغل بنو عبد الواد الظروف وسعوا للسيطرة على تلمسان والمناطق المجاورة. (إسماعيل بن الأحمر تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان)

وقد تمكن أبو عزة زعيم بني عبد الواد من اخضاع عدة قبائل منهم بنو مطهر وبنو راشد وبعد مقتله خلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان.

حكم الدولة الزيانية منذ تأسيسها واحد وثلاثون سلطانا كان أبرزهم مؤسس الدولة يغمراسن بن ثابت، الذي تمكن من تأسيس دولة قوية استمرت مدة طويلة رغم الحروب الكثيرة مع القبائل المجاورة، خاصة توجين ومغراوة، إضافة الصراع مع المرنيين في الغرب والحفصيين في الشرق، كما اتصف بالذكاء والشجاعة وحبه للعلم والعلماء وتقربهم من مجلسه. (ابن مريم، البستان)

بعد وفاة يغمراسن سنة 681هـ خلفه ابنه أبي سعيد عثمان الذي لم يكن أقل من ابيه صلابة وحزما وقد بقضى سنوات عديدة في الدفاع عن دولته خاصة أمام المرنيين وقد توفي اثناء حصار المرنيين لتلمسان سنة 703هـ، خلفه ابنه أبو زيان محمد بن عثمان، الذي عان هو الاخر من الحصار المريني،

خلفه اخوه أبو حمو موسى بن عثمان الذي بدل جهدا كبيرا في القضاء على مخلفات الحصار، وعقد الصلح مع المرنيين ليتوسع شرقا، ثم جاء بعده عبد الرحمن ابي تاشفين الذي عان من الخطر المريني والحفصي، ففي عهد استولى أبو الحسن المريني على تلمسان، وقد أبو تاشفين في الدفاع عن المدينة سنة 737هـ، وبذلك انتهت المرحلة الأولى لدولة بني عبد الواد.(ابن خلدون ، العبر ج7)

وفي عهد الاخوين أبي سعيد وأبي ثابت تم احياء دولة بني عبد الواد من جديد بعد هزيمة ابي الحسن في القيروان، حيث اعتيدت السيطرة على تلمسان، الا ان الخطر المرني تجدد وتمت السيطرة على المغرب الأوسط وسقطا أبو سعيد وأبو ثابت شهدين في هذه المواجهة.

وفي سنة 760هـ 1358م ظهر زعيم زياني بعث من جديد دولة بني عبد الواد وهو أبو حمو موسى الثاني، الذي اغتنم فرصة الاضطرابات التي واجهت الدلة المرينية ودخل تلمسان وأعاد مجد الدولة للمرة الثالثة، وبعدها عمل على القضاء على نفوذ بني مرين في كل أنحاء المغرب الأوسط، وقد شهد عصره رغم الصعاب والحروب الكثيرة ازدهارا في الميدان العلمي، وبوفاته سنة 791هـ 1389م تنتهي مرحلة القوة اذ يعتبر أخر السلاطين الأقوياء من بني عبد الواد. (عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني)

حكم الدولة الزيانية بعد ابي حمو الثاني ثلاثة وعشرين سلطانا تميز معظمه بالضعف وعدم القدرة على مواجهة المشاكل الداخلية والخارجية بداية من ابي تاشفين عبد الرحمن الى الحسن بن عبد الله الذي خلعه الاتراك سنة 962هـ، ومن أبرز عوامل السقوط:

الصراع على السلطة وتفشي ظاهرة قتل السلاطين، تكرر الهجمات الاسبانية على سواحل الدولة الزيانية خاصة وهرا، بل وصل الامر ببعض السلاطين الى دفع ضريبة سنوية للنصارى، ومن عوامل السقوط الاعتماد على قوة عسكرية مكونة معظمها من قبائل العرب خاصة بنو سويد والهلالين الا انها تمردت وأصبحت شبه مستقلة، إضافة الى الصراع الكبير مع دول الجوار المرنيين والحفصيين، والذي تسبب في انهاك الدولة بشريا وماديا، وفي الأخير ظهور العثمانيين في المنطقة فاستنجد بهم السكان لرد الهجمات الاسبانية وبذلك تنتهي دولة بني عبد الواد 962هـ/ 1492م.

3 ـ الدولة الحفصية 625هـ-1228/893-1488م

يعود نسب الحفصيين الى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي الذي يرجع نسبه حسب بعض المؤرخين الى عمر بن الخطاب، وأبو الحفص كان من الأوائل الذين امنوا بدعوة ابن تومرت وكان أحد العشرة من أصحابه، ويأتي في المرتبة الثانية بعد عبد المؤمن بن علي وكان يلقب بالشيخ، وقد توفي الشيخ أبو حفص سنة 571هـ وبقي أبناؤه يتداولون الامارة بالأندلس وافريقية.

وعندما اندلعت ثورة بني غانية في افريقية كلف الناصر الموحدي عبد الواحد بن أبي حفص للقضاء عليها وفعلا وجه للبني غانية ضربة قوية في موقعة تاجرا، وبع هذا الانتصار عينه المير الموخدي على افريقية سنة 603هـ، وبع ضعف الدولة الموحدية بدأ أبناء الشيخ ابي حفص يستقلون تدرجيا عن السلطة الموحدية، وفي عهد أبي ادريس المأمون تم تعيين ابي زكريا ابن الشيخ على إفريقية 625هـ، الذي خلع طاعة الموحديين واخذ تونس عاصمة له، ثم تلقى البيعة من اهل البلد، ثم اتحه نحو قسنطينة ودخلها سنة 626هـ واخرج منها الوالي الموحدي، والشيء نفسه حدث مع بجاية،(روبار برنشفيك، تاريخ أفريقية في عهد الحفصيين)

يعتبر أبو زكريا هو المؤسس الحقيقي لدولة بني حفص، فقد تمكن من القضاء على ما بقي من بني غانية ثم بايعه اهل طنجة وسبتة وسجلماسة كما بايعه بنو مرين وخطبوا باسمه في المساجد، ثم وصلته البيعة من اهل الاندلس، وهكذا استطاع بفضل حنكته وقوته أن يكون إمارة إسلامية واسعة المساحة يسوده الامن والاستقرار. (ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس)

الدولة الحفصية بعد أبي زكرياء.

لقد مرت الدولة الحفصية عبر تاريخها الممتد من سنة 603هـ 1206م ال ى981هـ 1573م أي ما يقارب 378 سنة بعدة مراحل.

العصر الذهبي وقد مثله كل من أبي زكرياء والمستنصر بالله أبي عبد الله حيث تلقب الحاكم بأمير المؤمنين، ومن مظاهر هذا العصر بيعة بلاد المغرب الإسلامي لدولة الحفصيين باعتبارها خليفة الدولة الموحدية، كما وردت البيعة من مكة المكرمة.(الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية)

أما عصر الضعف والاضطرابات فقد بدأ مع بداية عهد أبي محمد بن يحيى الواثق والذي لم يكن في مستوى تطلعات هذه الدولة، مما أدى الى ظهور الصرعات الداخلية الانقسامات والتحرشات الخارجية، وقد استمر هذا الضعف الى عهد السلطان أبو العباس أحمد بن ابي عبد الله الذي حاول بعث الدولة من جديد، فاسترجع قسنطينة وبجاية من الزيانيين وقد استمر هذا الوضع في عهد ابي فارس، وكان سقوط هذه الدولة في عهد ابي عمر عثمان سنة 893هـ -1488م. (محمد العروسي، السلطة الحفصية)

إن أسباب سقوط الدولة الحفصية لا تختلف عن تلك الأسباب التي كانت وراء سقوط باقي دول المغرب الإسلامي، وهي في مجملها تتحدد في الصراع الداخلي على السلطة بين أبيناء الاسرة الحاكمة وتحالف بعضهم مع قوى خارجية، وما ترتب عنه من حروب أنهكت الدولة بشريا واقتصاديا، إضافة الى الهجمات الاسبانية على سواحل افريقية وظهور الاتراك العثمانيون ودورهم في تحرير سواحل المغرب الإسلامي.